أثر الديستوبيا في تشكيل الزمن الروائي في الرواية النسائية العراقية (٢٠٠٣م – ٢٠٢٠م)

الباحثة. رحاب صالح خليل أ.د. طلال خليفة سلمان العبيدي
جامعة بغداد / كلية التربية للبنات
assrr٠٧٨@gmail.com

الملخص:

تتلخص فكرة بحثنا الموسوم بعنوان (أثر الديستوبيا في تشكيل الزمن الروائي) برصد ثيمة الديستوبيا وأثرها في تشكيل تقنيات الزمن الروائي، وفي سبيل إثبات فكرة بحثنا تلك فقد انصب اختيارنا على النتّاج الروائي لكوكبة من الروائيات العراقيات الذي صدر في الحقبة الزمنية (٢٠٠٣ م –٢٠٢٠م)، ورصدنا عبر هذه الثيمة كيفية اشتغال المفارقات الزمنية من استباق واسترجاع في تشظّي الزمن الروائي الذي قدّم بدوره صورة للواقع العراقي الذي تفتتت فيه صورة الإنسان وتهشمت فيه قيمه وتشظّت .

الكلمات المفتاحية: (الديستوبيا، الزمن الروائي، الرواية النسائية العراقية).

The impact of dystopia in shaping the narrative time in the Iraqi women's novel (٢٠٠٣ – ٢٠٢٠)

Rehab Saleh Khalil **Dr. Talal Khalifa Salman**
University of Baghdad / College of Education for Girls

Abstracts:

The idea of our tagged research entitled (The Effect of Dystopia in the Formation of Narrative Time) is summed up by monitoring the theme of dystopia and its impact on the formation of the techniques of narrative time, and in order to prove the idea of our research, our choice focused on the fictional production of a group of Iraqi women novelists that was published in the time period (٢٠٠٣ AD– ٢٠٢٠ AD) Through this theme, we monitored how the temporal paradoxes operate from anticipation and retrieval in the fragmentation of the fictional time,

which in turn presented a picture of the Iraqi reality in which the human image crumbled and its values were shattered and fragmented.

Keywords: (dystopia, narrative time, Iraqi women's novel).

المقدّمة:

إنَّ الزمن هو المبدأ المتضمّن لكل ظاهرة وجودية، فقد جاء التنوع الروائي في تشكيل الزمن، إذ رصدنا نصوصًا روائية بأقلام نسائية عراقية وفيها استرجاع الزمان واستباقه بين الحين والآخر من زمن السؤدد اليوتوبي إلى زمن التيه الديستوبي فعُدَّ فضاؤه قلقًا غارقا في طوفان الشر والفساد.

فللزمن أهمية كبيرة في الواقع؛ لأنه الإطار العام للحياة، وتظهر أهميته في الرواية في أن ((السرد أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن)) ([١]).

لم يعد الزمن في الرواية العربية الحديثة قائما على التسلسل المنطقي والتعاقب، وإنما تداخلت أبعاد الزمن الروائي وتشابكت، فالرواية الحديثة لم تعد تركز على تصوير الشخصيات أو الأحداث بقدر ما تهتم بإبراز المتغيّرات النفسية التي تحدث داخل الإنسان نتيجة إحساسه القلق بإيقاع الزمن ([٢])، فقد شهدت الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ نقلة في أسلوب البناء الروائي عن طريق التركيز على طرائق إنتاج الخطاب الروائي وارتباطه بالوعي الذي يستشعر عن طريقه الروائيون فداحة الزمن وعدم الاستقرار والشك في كل شيء، وتحطيم القواعد الفنية المألوفة؛ من أجل التجديد في أشكالها، والإفصاح عن صيغ جديدة، تتحرر بوساطتها من صورتها القديمة كاسرة لنمط العلاقات والتماسك مستبدلة ذلك بالتفكيك والتشتّت في الذاكرة وعدم التركيز الذي يتولد عند القارىء ([٣]). بمعنى أن الرواية الحديثة لم تعد تحافظ على وحدة الزمن التقليدية المتعارف عليها من ماض وحاضر ومستقبل بل انتقلت إلى حالة تداخل الأبعاد موظّفةً التقنيات الحديثة في تشكيل الزمن الروائي، ومن بين أهم

هذه التقنيات نجد تقنية (اللا اندماج الزمني) بمعنى أن الخطاب في الرواية لا يتميّز باستمرارية المؤشرات الزمنية المرتبطة بالحاضر بصفته الزمن الأساس في عملية القول، وإنما يتزحزح هذا الحاضر (الآن) ليحلّ محلّه الماضي أو المستقبل (لا – الآن) (٤) ، وهذا بحسب قدرة الروائي على التلاعب بخيوط الزمن في نسجه للأحداث، مما يشكل لنا هذا اللا اندماج تشاكلًا زمنيًا آخر جديدًا مغايرًا للتشاكل الزمني المرتبط بعملية القول (٥)

_____الآن_____ _____ لا– الآن_____

زمن عملية القول (الحاضر) التشاكل الزمني الجديد

لقد ظهر تشظّي الزمن في الروايات –عينة البحث– عبر المفارقات الزمنية فهي إمّا أن تكون استرجاعاً (analese) لأحداثٍ ماضية، أو لحظة الحاضر أو استباقًا (piolepse) لأحداث لاحقة.

سنبدأ بتقنية الاسترجاع؛ كونها الأكثر ورودًا في روايات –عينة البحث– فيعرّف الاسترجاع بأنه الارتداد إلى الماضي (استرجاع الماضي: flash back) عرض أحداث سبقت في الوقوع، ويمكن تنمية تلك الاسترجاعات عن طريق حلم يقظة أو ذكريات إحدى الشخصيات أو سياق حلمي متتابع أو حوار .(٦)

١–١ الاسترجاع

لقد تأثرت الروائيات العراقيات منذ الثمانينيات بالأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية التي ألقت بظلالها على هذه الحقبة من الزمن، وخلقت منعطفًا حاسمًا من تاريخ العراق المعاصر، فقد زُجَّ بالعراق في حالة فريدة من نوعها تتمثّل في الخروج من أزمة والدخول في أُخرى، إذ خرج العراق من حرب ليدخلَ في حربٍ أخرى (٧)، وفي وسط

الخراب الذي أنتجته الحروب وعاشته الشخصيات لم يكن لها سوى الرجوع بملمح الذاكرة إلى ماضيها عبر العودة المتكررة والمتواترة إليه؛ كونه ملاذًا للشخصية تهرب وتعيش بين ذكرياته؛ لتنتقص من حدة الوضع المتأزّم الذي تعيشه في اللحظة الآنية فيتشكّل بذلك ما يسمى (اللا اندماج الزمني – الزمن بين الآن – واللا الآن).

وفي ذلك يدلّ العنوان الثانوي لرواية (سيدات زحل) المعنون من لدن الروائية ب(سيرة ناس ومدينة) بأن الرواية تتضمّن سيرة ناس ومدينة، وقد اتخذ متنها شكل سيرة ذاتية فيها مذكرات تتشظّى فيها الأسماء والتواريخ، فتقوم شخصية البطلة بالرجوع إلى الماضي عبر الذاكرة لسرد سقوط مدينة بغداد عبر العصور الزمنية فـ((الشخصية في الرواية السيرية ليست مجردة من محيطها، بل على العكس من ذلك متماهية فيه وتدّل عليه وتعبّر عنه، فالشخصية في رواية سيرة المدينة يكون التفاعل معها بوصفه كائنًا محمّلًا بتاريخ معين ونظام حياة معين لها امتدادها المرجعي للواقع الذي تنتمي إليه لا مجرد كائن ورقي)) (٨) ، فشخصية (حياة البابلي) في رواية (سيدات زحل) تنقلت بين العصور الزمنية المختلفة لتروي سقوط مدينة بغداد وتحطمها؛ لتصل إلى نتيجة مفادها احتفاء الزمن بتقديم صورة واحدة لمدينتها هي صورة المدينة المحطمة عبر العقود الزمنية المختلفة، فتأثرت البطلة بهذه النتيجة، فأصبح حالها مماثلًا لحال مدينتها فتذكر أنَّ ((**الزمن دوامات تلتف حولنا وأحداث ماضينا تستعاد بين دورات الزمن، ليس بمحض مصادفة بل بحتمية كونية لا تفسير لها، فلأتنقل بين الأزمنة وأحوال مدينتي في عصورها وحكايات البنات وتصنع صورة من كل هذا الحطام كفسيفساء تشبهنا ..**)) (٩)، بعد استقراء النَّص يتّضح أن تشظّي الزمن وتبعثره يمثّل أحد مظاهر الرغبة اللا شعورية في الهروب من قسوة الزمن الطبيعي إلى العالم الداخلي غير المنتظم، إن تكسر الزمن وتشظّيه مثل صورة الواقع العراقي الذي تفتتت فيه صورة الإنسان وتهشَّمت فيه قيمه وتشظّت نراها تقول: ((**أنا حفيدة زبيدة ذاتها التي حلت**

ذاكرتها في رأسي وفاضت إليّ (...) حياتي تقاذفتها رياح الحب والفقد وجموح المخيلة وارتباك الذاكرة كمثل مدينتي المهشمة، عصفت بي وبها أعاصير الحروب والطواعين منذ ما يزيد على مائة وثمانين سنة فتبددنا بين ضجيج الخيول وهدير الدبابات ونعيق الغربان وكيد الرجال ونحس طوالع النساء)) (١٠) . إن المقطع السردي يعدُّ اغترابًا نفسيا تعانيه البطلة، فانفصالها عن ذاتها وتقمّصها ذاكرة شخصية (زبيدة) ، يعد انفصالًا عن الحاضر الذي تعيش فيه وتعاني فيه التشوش والضياع يختلج نفسها ويبعدها عن واقعها لذلك اتخذت من ذاكرتها حاجزًا منيعًا يبقيها بعيدة عن الزمن السوداوي الذي تعيش فيه .

إنَّ التركيز على آلية التذكّر التي تكون من أعمال الذاكرة، والتي تعدُّ بدورها جزءًا من الوعي، وخاصية من خصائص الزمن في رواية تيار الوعي، يكون عن طريق استرجاع الوقائع التي حدثت ومضت، وتحوّلت إلى رموز ودلالات ترسّبت في أعماق الذات الإنسانية وأحيانا إلى صور في حالة الانفجار النفسي العنيف، إن أسلوب تيار الوعي هو مجموعة الأفكار والسلوك والمشاعر السلبية والإيجابية التي يكتسبها كل فرد منا، ثم تتغلغل وتترسّب في أعماق الذوات الإنسانية لتشكّل لنا ذلك الجانب النفسي والطاقة النفسية المتفجرة التي لا حدود لها (١١)، ففي رواية (سيدات زحل) كان حضور (الطيف) سببا في إيقاظ ذاكرة البطلة (حياة البابلي) **((ذاكرتي خط دفاعي الأخير، لكنها تخذلني وتزج بي في تيه الجنون، أتوسل إليها : توقفي عن تعذيبي، إهمدي إلى الأبد ودعيني ... تتمرد ولا تأبه لضراعتي وتقوم قيامتها حين يهب صوته الليلي ، تنشط وتستحضر أحداثا وأحزانًا ومباهج وكوارث مرت بي .))** (١٢) ، إن زمن الحاضر الديستوبي الذي عُدَّ عصر القلق والتيه الذي عجَّ بالإيقاع النفسي المشحون بالتوتر والمشبع بالاضطهاد والغربة والإنعزال في عصر تأجَّجت فيه مشاعر الضياع وانقلاب الحياة إلى موت ودمار يعدُّ أحد أسباب تنشيط ذاكرة البطلة .

ونجد (حياة البابلي) في مقطع آخر تحاول مجابهة الزمن الذي تعيش فيه ومقاومة ذاكرتها والعيش في أروقة، فتقول :((**آه لو كانت لدي الشجاعة فأنفصل عن ذاكرتي السائلة المشتبكة التي تعذبني، لو كنت قادرة على تحجيم مشاعري إزاء الماضي وإزاءهم جميعا حتى أستطيع المضي قدما ، قلت لا بأس سأقاوم الذاكرة وأنتظر خلاصي وأخاطر**)) (١٣) ، تعيش الشخصية في صراع سببه الانفصام الزمني، فهي تهرب من الزمن الحاضر (الزمن الديستوبي) بما يحويه من قتل وفساد إلى الزمن الماضي (الزمن اليوتوبي) بما يحويه من ذكرياتها مع أهلها ومدينتها التي كانت بأبهى صورها عبر الذاكرة التي تركت شخصية (حياة) تترنح في غياهب الحاضر وشروره . ((إن التحولات التي حدثت في الواقع تجعل من المستقبل ملتبسًا على النحو الذي يجعل من استدعاء الذاكرة محاولة لردم هوة الحاضر، ومحاولة لتفسير كثير من أحداثه)) (١٤) .

وفي هذا السياق نلتقي مع بطلة رواية (سيرة ظل) للكاتبة (نضال القاضي) إذ يتم توظّيف تقنية الاسترجاع والاحتفاء بالماضي عبرالتذكر، فكانت وسيلة اتخذتها البطلة للهرب من واقعها ((**أغمضتُ عينيّ طويلا وفتحتهما على إتساعهما في داخلي وسافرت. سافرت أكثر من نصف عمري في أعماقي، غالبًا ما كنت أتوقف عند مقطع في الماضي البعيد وأظلّ أجوس في أروقته هربًا من حاضر كريه أو بحثًا عن نقطة اختبار لبداية، دائما، تصلني بزقاق ضيّق طويل**)) (١٥) ، إنَّ التناقض الذي ترسمه الشخصية للزمن يبدو واضحا بين الماضي والحاضر في هذا النص، فالماضي يمثّل الملجأ والأمان، أمّا الحاضر فيمثل زحزحة لذلك الأمان بما يتمتع به من (انفجارات وقتل وبشاعة)، إن الماضي يتناقض مع الحاضر بصوره الجميلة، مما أدى إلى تكوين مفارقة تصويرية في ذهن الشخصية انعكس في النص عبر الرجوع إلى الماضي هربًا من الحاضر.

وفي رواية (سيدات زحل) يتجسّد الزمن الحاضر بعدّه زمن التيه والضياع، فتعاني فيه بطلة الرواية (حياة البابلي) الخوف والحذر، فتقول :((**يبدأ القلق عندما افكر أكثر مما يجب في الإقتراب من الحاضر، الحاضر يتحرك على أرض من الخوف والحذر والترقب**)) (١٦) ، فالحاضر الديستوبي عدَّ عصر القلق والتيه الذي عجَّ بالإيقاع النفسي المشحون بالتوتر والمشبع بالاضطهاد والغربة والانعزال في عصر تأجّجت فيه مشاعر الضياع وانقلاب الحياة إلى موت ودمار.

وفي رواية (ينقصني أنت) يتَّضح الزمن الديستوبي بغرائبيته ووحشيته ((**هذا الزمن الغريب بكل ما يحمل ويحوي من جنون ونقائض**)) (١٧)، إذ ترسم الكاتبة فضاء ديستوبيا، فضاءً مربكًا يشير إلى خواء الإنسان وخيبة أمله من زمن الحاضر والمستقبل، فأصبحت تنظر إلى الزمان نظرة سوداوية.

وهنا نلتقي مع بطلة رواية (صمت الشوارع وضجيج الذكريات) الست (وهيبة) فتتحدّث قائلة : ((**في عالمنا تكاد أن تنتزع حتى الذكريات لاسيما التي فيها شيء من الفرح (...) إنتابني قلق وأنا أكتشف سبب تلك التعاسة، فشعرت بضيق بتنفسي**)) (١٨). نجد أن الشخصية تعاني اغترابًا زمنيًا من حاضرها فتنظر إليه نظرة معادية ينتابها الخوف والقلق إذ أصبحت تخشى على ذاكرتها التي تختزن لحظات الفرح من الحاضر الذي أصبح مشبعًا بالخوف.

ونراها في موضع آخر تحاول الحفاظ على الصورة الجميلة في ذهنها لشوارع مدينتها في الزمن الماضي عبر ذاكرتها، فتقول:((**مازلت أرى شوراعها من نافذة الذكريات، والتي كادت تُغلق بالكم الهائل من الكوارث والمصائب**)) (١٩) ، فنرى أن المكان سببٌ في

إيقاظ مشاعر الحنين الدفينة، فباتت تخشى من حاضرهاعلى تلك الصور والذكريات الجميلة التي ارتبطت بالمكان .

إنَّ كبار السن الأكثر توظيفا للذكريات في المدن بعد أن لبثو فيها ردحًا من الزمن يتناقلون بوساطة الذاكرة أحداث زمن السؤود اليوتيوبي متجليًا في الزمن الماضي، فيصطدم بالزمن الديستوبي الذي تعيشه المدن في الحاضر، فيقول الراوي العليم: **((رعب يحفظ ذاكرة المدينة وما يشبهه . والفارق نصف قرن .ليتذكَّر كبار السن ما كان في أواخر الخمسينيات، ويضربون كفاً بكفٍ .مدن تقطع أوصالها بأيدي أبنائها.))** (٢٠) .

نجد شخصية (حياة) في رواية (عالم النساء الوحيدات) تتعجب من تمسك الناس في زمن الحرب بالتغني بالزمن الماضي بما يحويه من رخاء ورفاهية **((ابتسمت وأنا أُقلب دفاتر بعض الناس ومنهم الآنسة "م" يتشبثون برماد الزمن القديم ويدمرون حاضرهم باندفاعهم المجنون نحو استحضار الماضي يستذكرون النشوات والأشواق الهالكة والوجوه المنطفئة ورعشات القلوب الميتة، يبكون ويأسون ويندمون وينزلون بأنفسهم القصاص ويعيشون بالمقلوب ولا يحبون زمنهم قط .. هؤلاء يرون في نسيان الماضي جحودًا وقلة حياء وعقوقًا، فماذا يرون فيمن يغتال يومه ؟...))** (٢١)، يظهر ارتباط الشخصيات بالزمن ارتباطًا وثيقًا وقد أُحيطت رؤيتهم لذلك الزمن بهالة من القدسية، وهو ما يعكس مرارة الأيام التي يعيشونها.

سلطت (شهد الراوي) الضوء على التداعي السلبي في الرجوع إلى الزمن الماضي من لدن بعض الشخصيات، فكانوا بذلك مساهمين في مدّ جذور الديستوبيا **((بعضهم عندما وجد صعوبة في التأقلم مع هذه الفوضى الزمنية، قرر أن يذهب بإرادته ليعيش في التاريخ ،فتح (تاريخ الطبري) ودسَّ نفسه بين السطور، صار فردا تاريخيًّا، يلبس الخرق البالية**

ويعتمر أغطية الرأس القديمة، ويطلق لحيته لتتدلى على صدره، مرة يذبح البشر الذين لا يشبهونه، أو يفجر نفسه داخل تجمعاتهم وهو ينادي (الله اكبر) ومرة يسحلهم إلى المجزرة لينحرهم مثل الدجاج)) (٢٢)، فعلى الرغم ما للتاريخ من دور في تحديد ملامح الهوية إلا أن الرواية تعكس عجز الشباب عن مجاراة واقعهم بكل ما فيه من طائفية وتمايزات عرقية ودينية واجتماعية ، ليلجأوا إلى الهروب والتشبث بالماضي الذي يشكّل السحر للوهلة الأولى إلا أن الروائية تخترق الحدود السحرية لتعكس بعض التشوهات والانحرافات التي تمزّق الهوية الثابتة، لذا تؤكّد أن الأهمية الوحيدة للتاريخ هي الإفادة من تجارب الماضي من ناحية، ومن ناحية أخرى تؤكّد الجهل والتخلّف إلى جانب ما يحمله التاريخ من مضامين، فقد عمدت الكاتبة إلى تعرية التاريخ وكشفه لتجعل شخصياتها أمام تاريخها المزيف .

ظهر لنا في نهاية هذا المبحث أن هروب الشخصية من الزمن الحاضر إلى الزمن الماضي يعد بمثابة الهرب من الزمن الديستوبي إلى زمن السُؤْدُد اليوتوبي إذ يمثّل الماضي فردوس الشخصيات وملجأها الذي تشعر فيه بالأمان، أمَّا الحاضر فيمثّل زحزحة لذلك الأمان بما يحصل فيه من انفجارات وقتل وبشاعة ، أي أن الماضي يتناقض مع الحاضر، مما أدى إلى تكوين مفارقة تصويرية عند المقارنة التي تجريها الروائيات عن طريق تقنية الاسترجاع على لسان الشخصيات.

لاحظنا وجود الاسترجاع بكثرة مقارنة بالاستباق، فالاسترجاع هو ذاكرة لأحداث حدثت بالفعل، ويكثر وجوده بغض النظر عن طبيعة الراوي، فيما لايكثر وجود الاستباق إلا إذا كان الراوي عليما وهذا ما رصدناه في الروايات عينة البحث.

(الاستباق الديستوبي/ أو الاستشراف الديستوبي foreshadowing)

يُعرَّف الاستباق بأنه عملية سردية تتمثّل في إيراد حدث آتٍ أو الإشارة إليه مسبقًا ([٢٣])، ويسمى الاستشراف، والإستذكار، والتوقّع والقبلية، فهو الإعلان عن الحدث قبل وقوعه، وافتراض ما يحدث من أحداث والتنبّؤ ب([٢٤]) ، وقد رصدنا حضور الديستوبيا في هذه التقنية في عدد من الروايات النسائية العراقية وكانت رواية (ساعة بغداد) الأوفر حظا في توظيف هذه التقنية ذات التنبّؤ السوداوي، فيقول الرجل الغريب الذي دخل المحلّة : ((**سيولد الرعب مع كل غروب شمس ، وينام في أسرَّتكم، سيظهر الغرباء فجأة من البيوت المهجورة وهم يتحدثون بلغة غريبة عنكم، يطلقون النار بدم بارد ومن دون أن تطرف لهم عين، ينهمر الرصاص في كل اتجاه، يخترق الأجساد البريئة، من دون ضجة، سيمر أحدكم على جثة جاره، وهي ملقاة في الطريق، ويتحسس نفسه وسيشكر السماء أنه مازال يتنفس، تنفسوا الهواء البعيد، قبل أن ينفد الهواء هنا**)) ([٢٥])، الاستباق الموجود في النص هو استباق إعلاني، إذ أُعلن فيه عن أحداث مستقبلية عبر التنبّؤ ، فهو استباق حقيقي وصريح قد تحقّق في الرواية (سيمر أحدكم على جثة جاره)، عبارات وأحداث حددت زمن المستقبل الديستوبي، وظّفتها الكاتبة في إعطاء معلومات عن طبيعة المستقبل وتعزيز صورته الديستوبية ، إذ إن حالة الخوف والانتظار العبثي لعودة الأبناء والآباء، وحالة القلق التي كانت تعيشها النساء في حقبة حرب إيران هي الدافع وراء هذا الاستباق الزمني المرتكز على اشتغال التخيّل الديستوبي لدى المنجم الغريب الذي دخل المحلة ، ونراه يتابع تنبّؤاته السوداوية الحزينة لأهل المحلة قائلًا: ((**لست هنا لأزرع اليأس في نفوسكن، لا تعتقد إحداكن أنني مجرد نذير شؤم أو عصفور نار، أنا أقول لكن كل ما أعرفه . أقول ذلك من أجلكم ومن أجل أبنائكم ومن دون مقابل (...) إن هذا الحصار طويل ولن ينتهي قريبا ، وعندما تأتي نهايته، ستبدأ الحرب وبعدها سيتلاشى كل شيء في النسيان.سينكر**

الجار جاره، والصديق صديقه، والأخ أخاه، سترمى جثث الناس في الليل للكلاب، وستختنق الأرصفة بالموت، ويدخل الرعب إلى بيوتكم من الشبابيك، ستعيش محلتكم نهارات جافة بهواء يلفح الوجوه، يتجول فيها الموت مثل ريح عاصفة في قرية مهجورة)) ([٢٦])، فقد سمع أهل المحلة هذه الأنباء بما تحمله من أحداث زمنية مقلقة ومأزومة، وكان لشدة وقع هذه الأنباء على كاهل أهل المحلة أن أُصيب أهلها بالحزن والألم ووسواس الخوف من المستقبل بعد أن فقدوا الأمل بعودة الهناء إلى حياتهم.

كذلك نجد الاستباق الديستوبي في رواية (مطر الله) الذي يرويه ضمير السيد (مهران) بعد استيقاظه من غيبوبة دامت ثلاثين عاما، فما يرويه الضمير لصاحبه :**((هل تشاهد هذه الجموع التي نفضت رماد سنينها البائدات وزحفت إليك من خلال رأسك المزحوم بالصور ؟ جلّهم الآن موتى، وسيموت عدد أكبر مما تراه في السنوات اللاحقات، بل سيأتي زمن لايجد فيه الناس وقتًا لدفن موتاهم أو حتى لإيجاد قبر لهم))** ([٢٧]) ، اتصفت شخصية السيد (مهران) بالظلم والقسوة حتى على أقرب الناس إليه، فكانت الغيبوبة التي نقلت حال البطل من عدم اللامبالاة إلى محاسبة النفس وصحوة الضمير. وقد برز السرد الإستباقي الديستوبي واضحا في الأفعال (سيموت، سيأتي).

ويظهر الاستباق الديستوبي واضحًا في رواية (سهدوثا) إذ تتحدّث (تمارا) مع أختها (وهيبة) **((سيسألني طفلي عندما يكبر ويعي معنى الكلمات : ماما، ماذا تعني كلمة الحرب؟))** ([٢٨])، إن (تمارا) تخشى من المستقبل الذي كانت تتوقّع بأنه يعجُّ بالحرب والفساد، فضلًا عن خوفها على طفلها من هكذا مستقبل يعدّ مدرارا لحروب الماضي.

وفي رواية (سيدات زحل) رصدنا استباقًا ديستوبيًا في الحوار بين (بهيجة التميمي) و(حياة البابلي) اذ تقول (بهيجة التميمي) ناصحة ابنتها :**((أريد أن تفهمي كيف تسير**

الامور في بلاد مضطربة (...) لا أريد أن أرعبك باحتمالات ما يحدث لنا في هذه البلاد ، أو ما سيحدث حتما في القادم من سنوات الجنون)) (٢٩)، إذ تستذكر (حياة) ما كانت تنذر وتحذر منه أُمها من احتمالات يمكن أن تحدث لها ولعائلتها في المستقبل القريب.

أمّا رواية (الحفيدة الأمريكية) فلم تخلُ من التوقع الديستوبي على لسان شخصياتها ، فتقول (زينة) :((**بعد سنوات ستقوم الحرب الألكترونية وتؤدي إلى أعظم الخسائر البشرية والمادية، وقد يفنى الناس جميعا بأقل جهد ممكن ومن دون تحريك جندي واحد ؟))**(٣٠) . إن تراكم مخاوف (زينة) بسبب الوضع الراهن في بلدها أفرز بدوره تكهّنات واستشرافات مستقبلية على نحو مخيف.

أمّا شخصية (ريحانة) في رواية (رقصة الجديلة والنهر) فقد تضمّن حديثها مع نفسها سردًا ديستوبيًا، فتقول: ((**– وما الفائدة من هذا الخفقان يا قلبي!!غدا أو بعد غد سنموت، سيظل صوت حبي أبكم، وعيناه كرفيف أعمى .علي التخلص من هذه المشاعر، أنا لم أخلق للحب ...))** (٣١)، يُظهرالنص عاطفة الحب التي كُتمت في قلب (ريحانة)، فقد كانت شخصية غير متفائلة من الناحية النفسية، وهذا ما أوحت به في المونولوج عندما تحدّثت في سرها عن حبها ل(عادل) وخفقان قلبها له، بعد أن كانت تحبه وتتابعه في نظراتها، تشدها إليه آراؤه في الحكم على الوطن، فمشاعر الحب بين (عادل) و (ريحانة) قتلها زمن الحرب، على الرغم من كونهما يمتلكان حق الاختيار إلا أن الديستوبيا كانت العامل الأساس في فرض اختيارها على الشخصيات، فكان خيار (عادل) و(ريحانة) مقاومة ديستوبيا الحرب مما أدى إلى موت (ريحانة) واختفاء (عادل).

إن الزمن الماضي والحاضر والمستقبل يشكّل الزمن الداخلي والخارجي للإنسان هذا الزمن الذي يترك دومًا أثره بغض النظر عن مدى سلبية أو إيجابية هذا الأثر، إذ يتجلّى

الاستباق في الرواية عن طريق توظيفها البوح ببعض التفاصيل التي ستحدث قبل وقوعها، أي أنها استبقت الحدث، إذ تقول على لسان الشخصية الرئيسة (حياة البابلي) :((**يوما ما سيصير الأعداء بشرا مثلنا وتمضي الحياة**)) (٣٢). (حياة) هنا تنبّئ وتبشّر بزوال الاحتلال وانتصار العراق يوما ما وستعود الحياة في البلد إلى طبيعتها، فإذا كان الأعداء سيصبحون أُناسًا عاديين فما الداعي للحرب ! .

كما وجدنا هذا النوع من الاستشراف التنبّؤي في رواية (الحفيدة الأمريكية)، إذ تنبّأت البطلة بالكوارث التي ستحل بالبلد الذي كان بدوره توقّعًا صريحًا لما سيأتي ((**بوش سيذهب وتبقى اللعنة تلوث مياه النهرين لعصور قادمة . سيقول العراقيون، في الآتي من الأجيال، لعنة بوش، مثل لعنة الفراعنة**)) (٣٣) ، وفي موضع آخر تصف (زينة) أيام الحرب وتقارنها بالغد ((**الغد كلمة غامضة في قواميس الحروب، عدا أنها لاتصلح لأي شيء هنا**)) (٣٤) ، إن شخصية (زينة) بكل ما فيها من خبرة ذاتية، وحالات شعورية تتراوح بين استرجاع واستباق، وتداخل زمني ينقله الراوي لتجسيد أحاسيسها بتأزم واقع الأحداث في بغداد، وللإفصاح عن حالة من المفارقات والتذبذب الزمني، وفي كل من (الاسترجاع، والاستباق) لا يوجد أي بوادر أمل، إذ لاسبيل لشخصيات الرواية سوى النظرة السوداوية لواقع الأمور وما كانت عليه، وما ستؤول إليه مع ازدياد موجات العنف والقتل في الحرب.

وبين توقّع الحاضر والمستقبل الذي ستتعرض له الشخصية يمكن القول أن: (ناصرة السعدون) في روايتها (عشاق وفونو غراف وأزمنة) قد جعلت من خطر العيش وسوداوية الحياة في بغداد سمفونية خوف دائمة وغير منقطعة ((**تفكر نهى أن أحوالها في بلدها تتماثل مع أحوال الكثيرين ،فهم مهمومون بالحاضر ومتطلباته العسيرة وأمانه المفقود وتعلم أن من لا يبالي بالمستقبل فمصيره الفناء ،هل ستبالي بالغد ؟ وماذا يعني الغد**

لأناس اغتيلت أحلامهم ؟. بماذا يصنعون الغد ؟ باللامبالاة؟ أم بالتشكي؟ أم بالانصراف لاستحضار الماضي في صيغة طقوس أو مذكرات أو أوجاع ؟؟ ...نحن أشباح الكائنات التي مرت بهذه البلاد التعيسة)) (٣٥) ، إن تكسّر الزمن وتشظّيه مثّل صورة الواقع العراقي الذي تفتتت فيه صورة الإنسان وتشظّت .

خاتمة:

بعد استقراء روايات –عينة البحث– لاحظنا أن الزمن الحاضر لم يكن يجسّد حضورا فاعلا في البناء السردي الديستوبي ، إذ لم يكن يجسّد عنصرا مهمًا وسط الأحداث ودمويتها المقيتة فالأمس مثل اليوم مثل الغد، ويتجسّد ذلك بقول بطلة رواية (ينقصني أنت)، فتقول :**((أساسًا نحن شعوب تبدأ قصصها بكان يا مكان نزرع في طفولتها المقبلة فعلًا ماضيا ناقصًا لن يصبح مستقبلًا ولا حاضرًا أبدًا))** (٣٦) وفي الرواية ذاتها إذ تصطدم الشخصية بزمنها الحاضر، فتقول:**((نستيقظ على صفعة الواقع فنجده أكثر تخلفًا وترديًا وأكثر جهلًا وحرمانًا))** (٣٧) ، وأحيانًا يلغى دور الزمن الحاضر بهرب الشخصية إلى ماضيها وكما تقول الشخصية الرئيسة في رواية (سيدات زحل) :**((أظل أجوس في أروقة الماضي هربًا من حاضر كريه))** (٣٨).

كان للروائية القدرة على جعل بعض الأحداث ظاهرة عن طريق ما يصطلح عليه " بالزمن الاستباقي" أو " الزمن الاستشرافي" باعتبار أن الأحداث ما هي إلا أحداث لاحقة في زمن ملموس قد تحقّقت جميعها، خاصة ذات الطابع الديستوبي.

كانت جلُّ الاستشرافات الديستوبية تحمل نذير شؤم من قابل الأيام بعدّه مؤشرًا دالًا على أثر الديستوبيا في تشكّل زمن المستقبل؛ لأن الرواية أُنتجت وسط العنف والانكسار والإحباط واليأس والخراب وفقدان الأمن والسلم لإنسان لا يملك غير ذاكرة مدمرة ونفسية

مضطهدة، وقد غابت في الروايات مشاهد السعادة والأمل والتفاؤل، وتم التعبير عن رماد الواقع عبر الإحساس بالفاجعة ورصد الخراب .

المصادر والمراجع:

الروايات

- الحفيدة الأمريكية، إنعام كجه جي، دار الجديد، بيروت– لبنان، ط٢، ٢٠٠٩، ٦٥.
- رقصة الجديلة والنهر، وفاء عبد الرزاق، مؤسسة المثقف العربي، سيدني– استراليا، ط١، ٢٠١٥.
- ساعة بغداد، شهد الراوي، د.ن، لندن، د.ط، ٢٠١٦.
- سهدوثا، ليلى قصراني، منشورات الغاوون، بيروت، ط١، ٢٠١١ .
- سيدات زحل، لطفية الدليمي، دار فضاءات للنشر والتوزيع، العراق، ط٣، ٢٠١٥.
- سيرة ظل ، نضال القاضي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.
- صمت الشوراع وضجيج الذكريات، ابتسام يوسف الطاهر، دار أدب فن والمنتدى الثقافي العربي، القاهرة، د.ط ، ٢٠٠٧.
- عالم النساء الوحيدات، لطفية الدليمي، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣
- عشاق وفونوغراف وأزمنة، لطفية الدليمي، دار المدى، بغداد، ط١، ٢٠١٦.
- مطر الله، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ٢٤.
- ينقصني أنت، زينب الشمري، دار الفارابي، لبنان، ط١، ٢٠١٥.

المصادر والمراجع

- بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، ١٩٨٤.
- تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠٠٥.
- التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية- التركيب- الدلالة)، عبد المجيد نوسي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤.
- مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقًا، سمير المرزوقي وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافيه، بغداد، د.ط، ١٩٨٦، ٨.
- معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، تونس، د.ط ، ١٩٨٦ ،١٤.

البحوث

- إشكالية الذاكرة في السرد العراقي ، أثير محمد شهاب، مجلة كلية التربية للبنات والعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، عدد خاص بحوث الدولي الثالث للغة العربية.
- أنساق بناء المتواليات السردية في نصوص سيرة المدينة، أثير محمد شهاب ، جنان محمد فرحان، مجلة كلية التربية للبنات ، الجامعة المسنصرية، العدد٣/ ٢٠٢١، ١٢٩.

- تحولات السرد في روايات ما بعد الحداثة، فاطمة بدر حسين، مجلة الأكاديمي، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ع٤٦، ٢٠٠٧.
- الفضاء بين الحلم اليوتيوبي والكابوس الديستوبي ،منيرة نوري ،لخضر الذيب ،مجلة إشكالات في اللغة والأدب ،مج ٩ ع:٥ ،السنة ٢٠٢٠ .
- المفارقات الزمنية في الرواية النسوية العراقية (٢٠٠٣-٢٠١٣) ، وجدان يعكوب محمود ، زينب هادي حسن، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد، المجلد ٢٩/ العدد٢/ ٢٠١٨، ٢٠٤٣.

المقالات

- تيار الوعي والاغتراب في الأدب، عبدالله الخطيب، على الرابط www.almadapaper.com بتاريخ ٢٢/١٢/٢٠٢٢.

الهوامش:

(١) بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، ١٩٨٤، ٢٦.

(٢) ينظر: الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ٧١.

(٣) ينظر: **بحث: تحولات السرد في روايات ما بعد الحداثة، فاطمة بدر حسين، مجلة الأكاديمي، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ع٤٦، ٢٠٠٧، ٩١-٩٢ .**

(٤) ينظر:التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية- التركيب- الدلالة)، عبد المجيد نوسي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٥٧ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه ،٥٩.

(٦) معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، تونس، د.ط ، ١٩٨٦، ١٤.

(٧) ينظر: **بحث: المفارقات الزمنية في الرواية النسوية العراقية (٢٠٠٣-٢٠١٣) ، وجدان يعكوب محمود ، زينب هادي حسن، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد، المجلد ٢٩/ العدد٢/ ٢٠١٨، ٢٠٤٣.**

(٨) **بحث: أنساق بناء المتواليات السردية في نصوص سيرة المدينة، أثير محمد شهاب ، جنان محمد فرحان، مجلة كلية التربية للبنات ، الجامعة المستنصرية، العدد٣/ ٢٠٢١، ١٢٩.**

(٩) سيدات زحل، لطفية الدليمي، دار فضاءات للنشر والتوزيع، العراق، ط٣، ٢٠١٥، ١٨-١٩.

(١٠) سيدات زحل ،٢٠.

(١١) ينظر: مقال: تيار الوعي والاغتراب في الأدب، عبدالله الخطيب، على الرابط www.almadapaper.com . بتاريخ ١٢/١٢/٢٠٢٢.

(١٢) سيدات زحل ،١٣.

(١٣) الرواية،٥٠.

(١٤) **بحث: إشكالية الذاكرة في السرد العراقي ، أثير محمد شهاب، مجلة كلية التربية للبنات والعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، عدد خاص بحوث الدولي الثالث للغة العربية، ١٤٧.**

(١٥) سيرة ظل ، نضال القاضي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ١٧

(١٦) سيدات زحل، ٥٤.
(١٧) ينقصني أنت، ١٣.
(١٨) صمت الشوراع وضجيج الذكريات، ابتسام يوسف الطاهر، دار أدب فن والمنتدى الثقافي العربي، القاهرة، د.ط ، ٢٠٠٧، ١٩.
(١٩) الرواية، ١٠.
(٢٠) سيدات زحل ، ٧٨.
(٢١) عالم النساء الوحيدات، لطفية الدليمي، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ٩.
(٢٢) ساعة بغداد، شهد الراوي، د.ن، لندن، د.ط، ٢٠١٦، ٢٦٧.
(٢٣) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقا، سمير المرزوقي، وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ط، ١٩٨٦، ٨.
(٢٤) ينظر: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠٠٥، ٨١-٨٢.
(٢٥) ساعة بغداد، ١٠٩ .
(٢٦) الرواية، ١١١-١١٢.
(٢٧) مطر الله، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ٢٤.
(٢٨) سهدوثا، ليلى قصراني، منشورات الغاوون، بيروت، ط١، ٢٠١١ ، ٨١.
(٢٩) سيدات زحل ، ١١١.
(٣٠) الحفيدة الأمريكية، إنعام كجه جي، دار الجديد، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٩، ٦٥.
(٣١) رقصة الجديلة والنهر، وفاء عبد الرزاق، مؤسسة المثقف العربي، سيدني- استراليا، ط١، ٢٠١٥، ٨٩.
(٣٢) سيدات زحل ، ١٧٦.
(٣٣) الحفيدة الأمريكية ، ٨٧.
(٣٤) الرواية، ٤٣ .
(٣٥) عشاق وفونوغراف وأزمنة، لطفية الدليمي، دار المدى، بغداد، ط١، ٢٠١٦، ٣١١.
(٣٦) ينقصني أنتَ، ١٩١.
(٣٧)الرواية، ٧.
(٣٨)الرواية، ٧٠.